الباب الثالث

فضائل الحج وحكمته

ومزايا مشروعيته

obeikandl.com

obeikandl.com

فضائل الحج وحكمته

ومزايا مشروعيته

إن الحج هو قصد البيت الحرام لأداء النسك ، وهو ركن من أركان الإسلام، وفريضة واجبة فى العمر مرة ، على كل مسلم ، عاقل ، بالغ ، حر، مستطيع ، واجد للزاد والراحلة[١] ، وأنه من أعظم القربات والطاعات لرب العالمين، إذ هو شعار أنبياء الله، وسائر عباده الصالحين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ .

عن عبد الله بن عباس قال : ((كانت الأنبياء تدخل الحرم مشاة حفاة ؟، ويطوفون بالبيت ، ويقضون المناسك حفاة مشاة))[٢].

وورد أن الأنبياء كلهم حجوا البيت إلا هودا وصالحا ؛ لتشاغلهما بأمر قومهما حتى قبضهما .

ولا عجب فمكة خير أرض الله ، وأحبها إلى رسوله ﷺ وقد حرمها الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهى حرام إلى يوم القيامة . " ولا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها ، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا "[٣] ومن أدرك رمضان بمكة ، فصام ، وقام منه ما تيسر له ، كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواها ، وكتب الله له بكل يوم عتق رقبة ، وكل ليلة عتق رقبة، وكل يوم حملان فرس فى سبيل الله ، وفى كل يوم حسنة ، وفى كل ليلة حسنة " [٤].

وروى : " أن الله يبعث من هذا الحرم كله سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا ، وجوههم كالقمر ليلة البدر . قال أبو بكر : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : " هم الغرباء "[٥].

ومن رأى الكعبة فى المنام فهى رؤيا حق[٦] والدجال لا يدخلها[٧] ، ومن حج البيت أو اعتمر لا يزال يزداد هيبة وتعظيما وبرا[٨].

والحكمة فى الحج : هى إقبال العبد أشعث أغبر من مسافة بعيدة إلى بيت فَضَّله الله ـ تعالى ـ وشرفه ، كإقبال العبد إلى مولاه ذليلا[٩] .

---

[١] ابن ماجه ٢/٩٦٧ تحقيق فؤاد عبد الباقى ط عيسى الحلبى .

[٢] ابن ماجه ٢/٩٨٠ والفتاوى الكبرى للهيتمى ٢/١٣٥. (٣) ابن ماجه ٢/١٠٣٨. (٤) ابن ماجه ٢/١٠٤١.

[٥] إعلام الساجد بأحكام الساجد للزركشى تحقيق الشيخ أبو الوفا المراغى القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ ص ٢٠٢.

[٦] إعلام الساجد ٢٠٨. (٧) المرجع السابق ٢١٥. (٨) المرجع السابق ٢١٦.

[٩] حاشية ابن حجر الهيتمى على مناسك النووى ص ٤١٤ .

وبالحج يكمل الدين ويتم ، ففى حجة الوداع أنزل الله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1]

وحينما نزلت هذه الآية قال أهل الكتاب : لو أنزلت علينا هذه الآية لجعلنا يومها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه : أشهد لقد أنزلت فى يوم عيدين اثنين : فى يوم عرفة ، ويوم جمعة بعد العصر على رسول الله ﷺ أثناء وقوفه بعرفة . ثم استشعر ﷺ من هذه الآية قرب أجله ، إذ الكمال علامة على الزوال ، ثم ودع أصحابه فى خطبته بمنى[2] .

وقال ﷺ : " اللهم اغفر للحاج ، ولمن استغفر له الحاج "[3] .

ثم أكرم الله المسلمين بالحج ، فجعل بيته الحرام مثابة للناس وأمنا ، والطواف حوله حجابا بينهم ، وبين العذاب ، كما جعل الله ـ عز وجل ـ الوقوف بعرفة تكفيراً للذنوب لكثرة نزول الرحمة فى هذا اليوم العظيم[4] .

أشهدكم أنى قد غفرت ذنوبهم وعفوت عنهم أجمعين ؛ تكرما .

فى الحج : رياضة للوجدان على طاعة الرحمن إلى خير البلدان ، يؤديه الفقير والرفيع والأمير ، والوضيع ، بإيمان وخشوع ، وهيبة وخضوع . ومن خرج من بيته حاجا يريد بحجه وجه الله ـ تبارك وتعالى ـ غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، وشفع فيمن دعا له ،ومن قضى نسكه وَسَلِمَ الناسُ من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه .

"من حج هذا البيت فلم يرفث،ولم يفسق،خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[5]والرفث كل لغو وخنى وفجور ومجون بغير حق،والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى.

- وإذا خرج الحاج من بيته كان فى حرز الله ، وإن مات قبل أن يقضى نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإن إنفاق الدرهم الواحد فى ذلك الوجه يعدل أربعين ألفا فيما سواه ، وإن الحاج يكتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة ، ومن خرج معتمرا فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ، ومن خرج غازيا فمات كتب له أجر الغازى إلى يوم القيامة .
- وينبغى على الحاج أن يتابع بين الحج والعمرة ؛ لأنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفى الكير خبث الحديد ، والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ـ التى لا يخالطها مأثم ـ ثواب إلا الجنة "[6]

---

[1] المائدة ٣. (٢) رواه البيهقى فى " شعب الإيمان " عن أبي هريرة ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

[3] الفتاوى الكبرى للهيتمى ١٢٢/٢. (٤) انظر :إعلام الساجد ١١٠.

[5] رواه أحمد والبخارى والنسائى وابن ماجه عن أبي هريرة .

[6] رواه ابن ماجه عن عمر ٩٦٤/٢ ورواه الدار قطنى فى الأفراد والطبرانى فى الكبير عن ابن عمر والنسائى عن ابن عباس وأحمد فى مسنده والترمذى والنسائى عن ابن مسعود .

وقال ﷺ (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) [1].

- إن الله ـ تعالى ـ يدخل بالحجة الواحدة ثلاثة نفر الجنة:

" الميت والحاج عنه ، والمنفذ لها " [2]وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كنا مع النبى ﷺ بمنى إذ أقبلت طائفة من اليمن فقالوا : فداك الأمهات والآباء : أخبرنا بفضائل الحج، قال : " بلى . أى رجل خرج من منزله حاجا أو معتمرا فكلما رفع قدما ،ووضع قدما ، تناثرت الذنوب من بدنه ، كما يتناثر الورق من الشجر ، فإذا ورد المدينة وصافحنى بالسلام صافحته الملائكة بالسلام ، فإذا ورد ذا الحُليفة واغتسل ، طهره الله من الذنوب ، وإذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له من الحسنات، وإذا قال: لبيك اللهم لبيك ، أجابه الرب ـ عز وجل ـ لبيك وسعديك ، أسمع كلامك ، وأنظر إليك ، فإذا حل مكة ، وطاف، وسعى بين الصفا والمروة ، وصل الله له الخيرات ، فإذا وقفوا بعرفات ، وضجَّت الأصوات بالحاجات باهى الله بهم ملائكة سبع سماوات، ويقول : ملائكتى ، وسكان سماواتى ، أما ترون إلى عبادى أتونى من كل فج عميق ، شُعْثا غُبْرا ، قد أنفقوا الأموال ، وأتعبوا الأبدان ، فوعزتى وجلالى وكرمى . لأهبن مسيئهم بمحسنهم ، ولأخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم ، فإذا رموا الجمار وحلقوا الرءوس ، وزاروا البيت ، نادى مناد من بُطْنان العرش : ارجعوا مغفورا لكم، واستأنفوا العمل " .

- إذن الحج أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله ، ولله در أقوام دعاهم مولاهم إلى جنابه فساروا إلى بابه شعثا غبرا ، وعرفهم بعرفات أنه قد تجاوز عن الذنوب والزلات فسجدوا لله حمدا وشكرا .

قيل للحسن ما الحج المبرور ؟ قال : " أن ترجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة " .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا أو أمة من النار من يوم عرفة ، وأنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء [3]؟

فيقولون يا ربنا يريدون العفو والمغفرة فيقول الله ـ تعالى :

" يا ملائكتى أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، وعفوت عنهم ".

---

[1] الجامع الصغير ٢/٧٤ لأحمد عن عامر بن ربيعة .

[2] الفتح الكبير ١/٣٥٧ رواه ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى " شعب الإيمان " عن جابر .

[3] الفتح الكبير ٣/١٢٤ رواه مسلم والنسائى وابن ماجه .

"إن الله يباهى بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم : انظروا إلى عبادى هؤلاء جاءونى شعثا غبرا " [1] وقال : " إن الله تعالى يباهى ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة يقول: انظروا إلى عبادى أتونى شعثا غبرا " .

والحج المبرور : يغفر الذنوب : صغائرها وكبائرها حتى التبعات ، وفى الحديث:

وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله ـ تعالى ـ يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة فيقول : " عبادى جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق يرجون رحمتى ، فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر لغفرتها ، أفيضوا مغفورا لكم " .

والحجاج والعمار وفد الله إن سألوه أعطاهم ، وإن استغفروه غفر لهم ، وإن دعوه استجاب لهم [2]. وإن شفعوا شفعوا . عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " اللهم ارحم المحلقين " .

قالوا : يا رسول الله والمقصرين ؟ قال : " اللهم ارحم المحلقين قالوا : يا رسول الله والمقصرين ؟ قال : والمقصرين "[3]

حدثنا عبد الله بن كنانة السلمى : أن أباه أخبره عن أبيه ، أن النبى ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب : أنى قد غفرت لهم ، ما خلا الظالم ، فإنى آخذ للمظلوم منه ، قال : " أى رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته ، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل، قال : فضحك رسول الله ﷺ أو قال : تبسم، فقال له أبو بكر وعمر : بأبى أنت وأمى إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذى أضحكك أضحك الله سِنَّك ؟ قال : " إن عدو الله إبليس لما علم أن الله ـ عز وجل ـ قد استجاب دعائى ، وغفر لأمتى ،" أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ، ويدعو بالويل والثبور، فأضحكنى ما رأيت من جزعه " [4].

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يختم على عمل الحاج بطابع من نور ، فإياك يا أخى أن تفك ذلك الختم بمعصية الله ـ عز وجل ـ .

وفى الحديث : (إذا مات المحرم فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا) [5].

---

[1] رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى السنن عن أبى هريرة / الفتح الكبير ٣٥٢/١.

[2] ابن ماجه ٩٦٦/٢. وفتاوى الرملى على هامش الفتاوى الكبرى للهيتمى ٨١/٢.

[3] سنن ابن ماجه ٤٥٧/١.

[4] سنن ابن ماجه ١٠٠٢/٢ ، وفتاوى الرملى هامش الفتاوى الكبرى لابن حجر الهيتمى ٨٣/٢.

[5] ابن ماجه ١٠٣٠/٢.

- والحج هو موكب الإسلام ومظهره ، ولباب حبه وجوهره . وموسمه الحرام أشهره ، مهرجانه العظيم ، وعرسه الفخيم ، وناديه الكريم ، والنظم الذى قرن فيه الدنيا إلى دينه القويم فجعله لها صالحا وعمارة ، وملأها بيمينه نماء ويساره، وأفاض بركاته على التجارة ، وسخرها لخدمته ، وإظهار دعوته ، وجمع كلمته ، وتوثيق عروته ، فإذا أظلت أيام الحج المباركات نظرت إلى البلاد فرأيت أسواقاً ماجت ، ومتاجر راجت ، ومطايا من مرابضها اهتاجت ، ورأيت الحجاز مهتز المناكب يموج بالمواكب ، مفتر المباسم فى جوه المواسم ، أخلفه الغيث فمطر الذهب ويبس ، فطعم الرطب أزواد تعد ، ورحال تشد ، وشروع تمد ، وحاجات تنشأ وتستجد ، وأمم أتوا من نواحى البلاد يصفون التحف المجلوبة ويأخذون الأجر والمثوبة .
- وقال حجة الإسلام الغزالى : أنعم الله ـ عز وجل ـ على هذه الأمة بالحج وشرف بيته العتيق . بالإضافة إلى نفسه تعالى :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

ونصبه مقصد العبادة ، وجعل ما حواليه حرما لبيته ؛ تفخيما لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده ووضعه على مثال حضرة الملوك ، ويقصده الزوار من كل فج عميق ، ومن كل أوب سحيق ، شعثا غبرا ، متواضعين لرب البيت ، مستكنين له خضوعا ؛ لجلاله واستكانة لعزته، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتم فى إذعانهم وانقيادهم ، ولذلك فرض عليهم فيها أعمالاً تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول ، كرمى الجمار بالأحجار ، والسعى بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية " .

وقد روى الترمذى ، وصححه أبو داود واللفظ له : " إنما جعل الطواف بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، ورمى الجمار ؛ لإقامة ذكر الله " والبيهقى وغيره عنه : أن إبراهيم لما أتى بالمناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض ، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض، ثم عرض عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حتى ساخ فى الأرض . قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : " الشيطان ترجمون ، وسنة نبيكم تتبعون " . وأخرج سعيد بن منصور أنه ﷺ سئل عن رمى الجمار فقال : (الله ربكم تكبرون ، وملة أبيكم إبراهيم تتبعون ، ووجه الشيطان ترمون) ، وعلى هذا فيكون رمى الجمار

القصد منه الانقياد للأمر إظهارا للرق والعبودية ، وانتهاضا لمجرد الامتثال .[1] وصدق رسول الله حينما قال : (خذوا عنى مناسككم) .

وتذكر أخى الحاج فى أثناء وجودك بالمسجد : " أن الله ـ تعالى ـ ينزل على أهل هذا المسجد ـ مسجد مكة ـ فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة : ستين للطائفين، وأربعين للمصلين ، وعشرين للناظرين "[2]، وفى الحديث : " النظر إلى الكعبة عبادة " رواه أبو الشيخ عن عائشة .

وروى الطبرانى فى " الأوسط " عن جابر : " أن المؤذنين والملبين يخرجون من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى[3] ،وروى البيهقى فى " شعب الإيمان " عن عائشة : " أن الملائكة تصافح ركاب الحجاج ، وتعتنق المشاة[4]، وأن الناس ليحجون ويعتمرون ، ويغرسون النخل بعد خروج يأجوج ومأجوج "[5] .

وورد فى ماء زمزم : " إنها لمباركة هى طعام طعم وشفاء سقم " الطيالسى ، عن أبى ذر ، وروى : أنها مباركة إنها طعام طعم يعنى زمزم " رواه أحمد فى مسنده ، ومسلم عن أبى ذر.

" وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات "[6].

وروى : " أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ، وأهل مكة وأهل الطائف " للطبرانى عن عبد الله بن جعفر ، وفى الحديث : " وأما طوافك بالبيت فأن تطوف ، ولا ذنب عليك ، يأتى ملك فيضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما يستقبل فقد غفر لك فيما مضى[7].

مزايا مشروعية الحج

للحج مزايا تفوق الوصف ، وتجل عن العد ، ومن هذه المزايا :

تعلم الصبر والامتثال :

إن الإنسان الذى يصبر على متاعب السفر، وعلى الانتقال المفاجئ من بيت الإنسان والراحة ، التى يركن إليها فيه والخيرات ، التى تحيط به إلى هذا المكان القفر الموحش المتميز بصخوره الصلدة ، وحرارته المحرقة أغلب أوقات السنة . كل هذا وغيره حينما يعترض الحاج ليس له إلا الصبر ، والصبر العميق . نعم .. الصبر على السفر ، وتزاحم الناس ، وتسابقهم إلى فعل الأحسن لهم ، والصبر على المخاوف ،

---

[1] حاشية ابن حجر الهيتمى على مناسك النووى ٤١٤-٤١٥.

[2] الفتح الكبير ٣٦٢/١ -٣٦٣/٣ رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى الكنى وابن عساكر عن ابن عباس . .

[3] الفتح الكبير ٣٦٤/١. (٤) الفتح الكبير ٣٦٨/١. (٥) الفتح الكبير ٣٧٢/١ عبد الرحمن بن حمد عن أبى سعيد .

[6] فتاوى الرملى على هامش الفتاوى الكبرى للهيتمى ٨٢/٢. (٧) المرجع السابق .

الصبر على الإقامة فى مكة ، الصبر على تنافس الناس وآذاهم ، وتغاير معاملاتهم وتصادم رغباتهم وما على الإنسان ، وقد وجد كل هذا إلا أن يصبر ويمتثل لله العلى الحكيم ويؤدى مناسكه فى إذعان تام وخضوع لله رب العالمين من فعل . هذا فإنه يدرك الحكمة ويزداد فهما للسر فى قوله تعالى:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ ورجع طاهراً مطهراً من حجه ، كيوم ولدته أمه.

التعارف والتعاون :

يجتمع المسلمون من كل فج عميق ، فى أيام معلومة ، وساعات محدودة على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم فيتعارفون ويتعاونون على ما يرفع شأن أمتهم ودينهم ويصلح حالهم .

تهذيب النفوس :

أعمال الحج تشتمل على فوائد خلقية كثيرة ، مثل : الصبر على الشدائد ، والشفقة بالضعفاء والمساكين ، والتواضع ومعاونة الناس ، والإخلاص فى العمل ، وإن العبد ينال الرضا والمغفرة من الله بسبب امتثال أوامره ، وأداء العبادة له ، وهو كذلك سبيل لتكفير الذنوب ، والفوز بالجنة ، ومضاعفة أعمال البر بمكة إلى مائة ألف ضعف ، ومضاعفة الصلاة فى المسجد الحرام . قال الحسن البصرى : " صوم يوم بمائة ألف يوم ، وصدقة درهم بمائة ألف درهم " . ويقال : إن طواف سبعة أسابيع تعدل عمرة ، وأن ثلاث عمرات تعدل حجة ، وأن العمرة هى : الحجة الصغرى . وفى الخبر : " عمرة فى رمضان تعدل حجة ، فمن وفق للعمل بما ذكرنا فهو علامة على قبول حجه، ودليل نصر الله فى قصده .

المساواة التامة :

إن الحاج حينما يتجرد من ملابسه العادية ، وزينته المتفاوتة ، ويلجأ إلى لباس موحد لا يظهر فيه التفاوت المعروف فى الملابس العادية ، وقد كشف رأسه وتجد الناس جميعاً سواء : الملك كالمملوك ، والأمير والفقير ، والكل يتجه إلى المولى فى ضراعة ، يسأل الله التوبة والمغفرة ، ويصبح الجميع فى سباق لبلوغ غاية واحدة هى : الرضا من الله ، والقبول، ويستشعر الغنى بهذه المساواة فى هذه العبودية ، لا شك أن نفسه تتطامن ، وتنكسر حدتها ويحس بمعنى الأخوة الشاملة التى يحرص الإسلام على غرسها فى نفوس أتباعه ، كذلك يحس الفقير بذل الغنى أمام ربه ـ يتضرع إليه ويسأله قضاء حاجاته مثله بالضبط فى هذه الحالة يحس بالمساواة فترتفع معنوياته

وتعلو فى نفسه منزلته ، ويسترد فيها قيمته فلا يذل ولا يخضع إلا لله ، وهكذا لا تستطيع أن تميز الشخص الذى أمامك إلا أنه مسلم ، وفقير محتاج إلى الله مثلك ، ويمكن أن نخرج من كل هذا . بأن الحج تدريب عملى شاق على التآخى فى المظهر الموحد والشعور الموحد لا يتوافران بهذه القوة فى أى مظهر آخر من العبادات الأخرى .

التحام تام لأفراد الأمة :

إن الحاج حينما يقع بصره على الكعبة المشرفة يقول : " اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ، وتكريما ومهابة وبرا ، وزد من شرفه ممن حجه ، أو اعتمره تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبرا ، اللهم أنت السلام فحينا ربنا بالسلام " نرى أن هذا الدعاء فيه إلزام لكل حاج أن يدعو لزوار بيته بزيادة التعظيم والتشريف والتكريم إلى أن تقوم الساعة ، مثل المصلى ، يقول فى صلاته :﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ يدعو للمسلمين بالهداية ، ولذا من ترك الصلاة فإنه يغبن المصلى حقه فى ترك الدعاء له . وكان السلف الصالح لشدة إيمانهم ، وكثرة شوقهم إلى زيارة بيت ربهم ، يحجون أكثر من مرة . بل وصل بالبعض أن تعود الحج كل عام ، فقد روى عن ذى النون المصرى أنه قال: كانت امرأة من كبريات الصالحات العابدات تحج كل سنة على قدميها من المدينة إلى مكة ، إلى أن بلغت من العمر السبعين فكف بصرها ، فلما حضر وقت الحج دخل عليها النساء يزرنها ويواسينها فى فقد بصرها ، فبكت ، ثم رفعت رأسها إلى السماء ، وقالت : إلهى وعزتك لأن فقدت نور بصرى بين يديك ، لما فقدت أنوار أشواقى إليك ، ثم أحرمت ، وقالت : " لبيك اللهم لبيك " وخرجت مع صويحباتها ، فكانت تمشى بين أيديهن فتسبقهن فى السير . قال ذو النون : فتعجبت من حالها فإذا بها تقول : " أتعجب من ضعيفة اشتاقت إلى بيت مولاها فحملها إليه بلطفه وقواها " .

وقال السرىّ السقطىّ : رأيت فى طريقى إلى مكة شابا يمشى ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد الجواب فقلت له : إلى أين ؟ قال : إلى بيت الله الحرام ، قلت له : فبماذا تحرك شفتيك ؟ قال: بالقرآن : قلت : خطواتك قصيرة ، وطريقك بعيدة ، فقال: إنما علىَّ نقلُ الخُطى ، وعلى الله الإبلاغ ، فقلت : أين الزاد والراحلة ؟ فقال : زادى يقينى ، وراحلتى رجلاى ، فقلت : أسألك عن الخبز والماء ، فقال : يا عماه أرأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل معك زادك ؟ فقلت : لا. قال : إن سيدى دعا عباده إلى بيته ، وأذن لهم فى زيارته ، فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم ، وإنى استقبحت ذلك ، فحفظت الأدب معه ، أفتراه يضيعنى؟ فقلت : كلا وحاشا ، ثم غاب عن عينى، فلم أره إلا بمكة ، فلما رآنى قال : يا شيخ أنت بعدُ على

ذلك الضعف فى اليقين. ثم يقول الشبلى ـ رحمة الله عليه ـ : " الحج حرفان : حاء وجيم، فالحاء من الحلم ، والجيم من الجرم ، والإشارة فيه كأنه يقول : يا رب أتيتك بجرمى وجفائى إلى حلمك ورحمتك فإن لم تغفر جرمى فمن يغفر لى .

وإذا تأملنا ما نحن فيه سنجد أن : ما كل مسافر حاج ، ولا كل جبل عرفات ، ولا كل بيت مكة ، ولا كل زاد يوصل . فأخلصوا النية وأصدقوا العزم يا إخوة الإيمان، يستجب دعاؤكم ، ويرعاكم الرحمن . وكل خطوة يخطوها الحاج من بيته قاصدا البيت الحرام يكتب الله له بكل خطوة حسنة ، ويحط بها عنه سيئة ، ويرفع له بها درجة، وإن الله لا يرد للحاج دعوته ، ويباهى بطائفى بيته [1]فعن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:"من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة"[2]، سأل ابن هشام عطاء بن أبى رباح، عن الركن اليمانى ، وهو يطوف بالبيت، فقال عطاء : حدثنى أبو هريرة، أن النبىﷺ قال : " وكل به سبعون ملكا فمن قال : اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا آمين " [3]

وعن الركن الأسود قال النبى ﷺ : (من فاوضه فإنما يفاوض يد الرحمن)[4] وقال أيضاً ﷺ:

(من طاف بالبيت سبعا ، ولا يتكلم إلا بسبحان الله ، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، محيت عنه عشر سيئات ، وكتبت له عشر حسنات ، ورفع له بها عشر درجات ومن طاف فتكلم وهو فى تلك الحال خاض فى الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه)[5] وإن الكعبة تشفع للحجاج فتقول : يا رب عبادك المذنبون الذين وفدوا إلىَّ من كل فج عميق ، شعثا غبرا ، وتركوا الأهل والأولاد والأحباب ، وخرجوا شوقاً إلىَّ زائرين مُسلَّمين طائعين ، حتى قضوا مناسكهم ، كما أمرتهم، فأسألك أن تشفعنى فيهم ، وتؤمنهم من الفزع الأكبر ، وتجمعهم حولى.

يا رب أسألك الشفاعة فى المذنبين الذين ارتكبوا الذنوب العظام والأوزار ، حتى وجبت لهم النار ، فيقول الله تعالى : قد شفعتك فيهم ، وأعطيتك سؤالك ، فينادى ملك من جو السماء : ألا من زار كعبة الله ، فليعتزل عن الناس ، فيعتزلون فيجعلهم

---

[1] الفتح الكبير ٣٥٢/١ رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى عن عائشة .

[2] ابن ماجه ٩٨٥/٢. (٣) المرجع السابق .

[4] المرجع السابق ٩٨٦/٢. (٥) المرجع السابق .

الله ـ تعالى ـ حول البيت الحرام ، بيض الوجوه ، آمنين من النار ، يطوفون ويلبون ، ثم ينادى ملك من جو السماء : ألا يا كعبة الله سيرى فتقول الكعبة : لبيك اللهم لبيك ، والخير كله بيديك ، لبيك لا شريك لك، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك[1] وروى : أن الكعبة تحشر كالعروس المزفة ، ومن حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة "[2].

ومن توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى الركن اليمانى ليستلمه ، خاض فى الرحمة، فإذا استلمه ، وقال : باسم الله ، والله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، غمرته الرحمة ، فإذا طاف بالبيت كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة ، ومحا عنه سبعين ألف سيئة ، فاغتنموا يا وفد الرحمن هذه الفوائد والربح ، فمن اجتهد وجد ، ومن أوقد مصباح الذكر لاحت له الأعلام ، ومن تغرب فى بادية الشوق ظهرت له الخيام ، ومن حج حجة، فقد أدى فرضه ، ومن حج ثانية فقد داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ، فاللهم حرم شعرنا وبشرتنا وأجسامنا على النار ، يا عزيز يا غفار.

حج محمد بن المنكدر ثلاثا وثلاثين حجة ، فلما كان فى آخر حجة حجها ، قال : وهو فى عرفات : اللهم إنك تعلم أنى وقفت فى موقفى هذا ثلاثا وثلاثين وقفة ، فواحدة عن فرضى، والثانية عن أبى ، والثالثة عن أمى ، فأشهدك يا رب أنى وهبت الثلاثين لمن وقف بموقفى هذا ، ولم تتقبل منه ، فلما دفع من عرفات نودى يا ابن المنكدر : أتتكرم على من خلق الكرم والجود ؟ وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألفى عام .

وينبغى للحاج أن يغتنم بعد قضاء مناسكه مدة مقامه بمكة ، ويستكثر من الاعتمار ، ومن الطواف فى المسجد الحرام ؛ لأنه أفضل مساجد الأرض والصلاة فيه أفضل منها فى غيره من الأرض جميعها ،فروى : " صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " .

اللهم تقبل توبتنا ، وأعنا على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك، اللهم آمين .

---

[1] الروض الفائق فى المواعظ والرقائق . (٢) إعلام الساجد للزركشى ص ٢٠٠.